# نظرات مصطلحية في كتاب "مفردات ألفاظ القرآن" للراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٣هـ)

مصطفى فوضيل*

**خلاصة**

حاول الباحث في هذا المقال بيان الأفكار الآتية:

- تفرد الراغب الأصفهاني في تاريخ الدراسات القرآنية عامةً ومعجمات القرآن خاصة، بسبب عنايته بالسياق (لخصوصية مدلولات ألفاظ القرآن).

- أن هذا الكتاب مرجع في تحقيق مفردات القرآن، وفي تحديد العديد من مصطلحات العلوم الشرعية. بل في علوم أخرى أيضاً.

- إعادة النظر في عد المفردات ضمن كتب الغريب، فصحيح أن فيه الغريب، ولكنه ليس كتاباً في الغريب.

- أن الراغب اهتم بمفردات القرآن ضمن نسق معرفي تطلع من خلاله إلى بناء رؤية أو نظرية في علم بيان القرآن. كما وقف الباحث عند بيان:

- مظاهر التدخل بين مفردات القرآن وبين مصطلحات العلوم الشرعية: ومنها: تنوع صور المصطلحات الواردة في الكتاب بالنظر إلى علاقتها بالقرآن الكريم. فمنها المصطلح الذي احتفظ بصورته القرآنية (كالبيع) ومنها الذي اختلفت صورته لكنها مشتقة من لفظ القرآن (كالملاعنة)، ومنها الذي هو مستقل بصورته ومفهومه (كالمحاضرة).

---

* دكتوراه دولة في الدراسات الإسلامية. أستاذ باحث بمعهد الدراسات المصطلحية كلية الآداب جامعة سيدي محمد بن عبد الله - فاس - المغرب.

- تنوع مصطلحات العلوم الواردة في المفردات بين مصطلحات فقهية وأصولية وكلامية ومصطلحات أخرى، والعرض أورد نماذج منها مما يظهر فيه ضرب من التداخل والتكامل.

كتاب مفردات ألفاظ القرآن "لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، من أهم وأحسن ما ألف في مجال الدراسات القرآنية واللغوية. وهذه الأهمية نابعة من كون الكتاب محتويا على ثروة لغوية نفيسة، محررة، ومرتبة ترتيبا معجميا، يفيد عموم الباحثين في العلوم الإسلامية والعربية. وقد وظف الراغب هذه الثروة اللغوية في تحقيق ألفاظ القرآن وتحصيل معانيها. وانتهى به منهجه في الكتاب إلى نموذج متفرد في تحديد الدلالة القرآنية تحديدا دقيقا. ذلك بأنه اجتهد في تلمس أصول الألفاظ ومداراتها، والإشارة إلى كثير من جزئيات المعاني المندرجة تحتها، معتبرا سياق الكلام، جاعلا قصده الأسمى ضبط مدار المعنى الذي يدور عليه اللفظ في القرآن جملة.

يقول الدكتور الشاهد البوشيخي: "إن الراغب الأصفهاني في المفردات يكاد يتفرد بشيء لم يسبق إليه و لم يلحق فيه، وهو التفطن إلى خصوصية الدلالة القرآنية، مما أكسبه تدقيقا في الشرح ميزه عن سواه تمييزا"[١].

وللزركشي كلام بنحو هذا نوه فيه بتفرد الراغب في هذا المقام، مشيرا إلى السر فيه، فقد قسم الزركشي القرآن قسمين: أحدهما ورد تفسيره بالنقل... و"الآخر ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين، وهو قليل، وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق، وهذا يعنى به الراغب كثيرا في كتاب المفردات، فيذكر قيدا زائدا على أهل

[١] نحو منهج لدراسة مفاهيم الألفاظ القرآنية/الدكتور الشاهد البوشيخي" بحث ألقي في الدورة التدريبية التي عقدت في موضوع: "القرآن المجيد وخطابه العالمي" بتعاون بين المعهد العالمي للفكر الإسلامي والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، بكلية الآداب بأغادير - المغرب، ١٤-١٩ محرم ١٤١٨/٢١-٢٦ ماي ١٩٩٧.

اللغة في تفسير مدلول اللفظ، لأنه اقتنصه من السياق"[٢]. وفي موضع آخر يقول: "وهو يتصيد المعاني من السياق لأن مدلولات الألفاظ خاصة"[٣].

## هل المفردات كتاب في الغريب؟

إن ما سبق من الكلام يحملنا على التوقف في اعتبار هذا الكتاب من كتب الغريب. وأعتقد أن هذه المسألة في حاجة إلى تحرير ومراجعة، فقد دأب كثير من العلماء الباحثين على عدِّ المفردات في كتب غريب القرآن. ومن هؤلاء الإمام الزركشي نفسه[٤]، والإمام السيوطي[٥]، ومن المحدثين الدكتور محمود نحلة[٦] والدكتور فتحي الدابولي[٧] وغيرهم. وأغرب من ذلك أن أحد المحققين للمفردات قال في المقدمة: "إن كتاب المفردات يعتبر موسوعة علمية صغيرة، فقد حوى اللغة والنحو والصرف والتفسير والقراءات والفقه والمنطق والحكمة والأدب والنوادر وأصول الفقه والتوحيد، فأجدر به أن يحتل الصدراة بين الكتب المؤلفة في غريب القرآن ومعانيه"[٨].

## مفهوم الغريب:

يلخص الدكتور محمود نحلة مفهوم الغريب فيقول: "الغريب في اللغة ما خلاف الشائع المألوف وتباعد عنه. وفي اصطلاح البلاغيين هو الوحشي أو

---

[٢] الزركشي، بدر الدين (ت، ٧٩٤هـ): "البرهان في علوم القرآن"، ت: أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ج٢، ص١٧٣، وفي الإتقان للسيوطي، جلال الدين (ت، ٩١٠هـ)، المكتبة الثقافية، بيروت، ج٢، ص١٨٣، نقلاً عن الزركشي: "اقتضاه السياق".

[٣] الزركشي، مصدر سابق، ٢٩١/١.

[٤] الزركشي، مصدر سابق، ٢٩١/١.

[٥] السيوطي، مصدر سابق ١١٣/١.

[٦] نحلة، أحمد محمود: دراسات قرآنية في جزء عم، دار العلوم العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص٧٦.

[٧] الدابولي، فتحي أنور: غريب القرآن دراسة وصفية، مجلة المنهل العدد ٤٩١، ص١١٣-١١٩.

[٨] انظر تقديم د. صفوان داوودي للمفردات، وقد بذل المحقق جهدًا مشكوراً في إخراج المفردات في صورة حسنة، وذيله بعدة فهارس نافعة، لكن فاته فهرس المصطلحات مرتبة بحسب العلوم، وهو من أهم ما ينبغي العناية به في الفهارس والكشافات.

الحوشي الذي لا يظهر معناه إلا بالتنقير عنه في كتب اللغة المبسوطة ثم ينقل عن ابن الأثير أن الوحشي قسمان: غريب حسن، وغريب قبيح. ثم يقسم الألفاظ إلى ثلاثة أقسام: قسمان حسنان، وقسم قبيح، "فالقسمان الحسنان أحدهما ما تداول استعماله الأول والآخر من الزمن القديم إلى زماننا هذا ولا يطلق عليه وحشي، والآخر ما تداول استعماله الأول دون الآخر ويختلف في استعماله بالنسبة إلى الزمن وأهله. وهذا هو الذي يعاب استعماله عند العرب، لأنه لم يكن عندهم وحشياً وهو عندنا وحشي، وقد تضمن القرآن الكريم منه كلمات معدودة، وهو التي يطلق عليها غريب القرآن... وأما القبيح من الألفاظ الذي يعاب استعماله فلا يسمى وحشياً فقط، بل يسمى الوحشي الغليظ"[٩].

وينقل عن الأستاذ مصطفى صادق الرافعي - رحمه الله تعالى - قوله: "وفي القرآن ألفاظ اصطلح العلماء على تسميتها بالغرائب، وليس المراد أنها منكرة أو نافرة أو شاذة كما رأيت في باب اللغة، فإن القرآن منزه عن هذا جميعه، وإنما اللفظة الغريبة ها هنا هي التي تكون حسنة مستغربة في التأويل بحيث لا يتساوى في العلم بها سائر الناس"[١٠].

وقد لا نكون في حاجة إلى بسط القول - بأكثر مما ذكر - في تعريف الغريب وبيان مفهومه حتى نزن به كتاب المفردات، ومهما يكن من اختلاف في ذلك فإن أحدًا - فيما نعلم، والله أعلم - لم يقل إن ألفاظ القرآن كلها غريبة، علماً بأن الراغب قد عُنيَ بها جميعاً، ولم يستثن منها شيئاً.

والحق أن كتاب "المفردات" أشمل وأوسع وأعمق من مجال الغريب بمعناه الشائع، وهذا بحسب واقع الكتاب الناطق، وبحسب قصد كاتبه الذي نص عليه نصاً.

- فمن ذلك أن الراغب لم يشر في مقدمة "المفردات" إلى اسم له محددٌ وواضح، وإنما قال - بعد أن نبه على مركزية الألفاظ المفردة في الخطاب

---

[٩] نحلة، محمود: مصدر سابق، ص٧٢.

[١٠] نحلة، محمود، مصدر سابق، ص٧٤.

القرآني، ومركزيتها في بنية العلوم عمومـًا -: "وقد استخرت الله تعالى في إملاء كتاب مستوفٍ منه مفردات ألفاظ القرآن على حروف التهجي... والإشارة فيه إلى المناسبات التي بين الألفاظ المستعارات منها والمشتقات حسبما يحتمل التوسع في هذا الكتاب"[١١].

ففي هذا النص تحديد دقيق لموضوع الكتاب ومادته، وبيان للمنهج المتبع في جمعها وتصنيفها وترتيبها وعرضها. كما أن تعبير الراغب بلفظ "الاستيفاء" يؤكد قصده إلى استيعاب جميع ألفاظ القرآن بحيث لم يقصر اهتمامه على ألفاظ دون أخرى، ولم يشر إلى غريب ولا إلى غيره. ولا يقدح في أصل المسألة أن يكون قد فات الراغب بعضُ الألفاظ مما نبه عليه السمين الحلبي (ت، ٧٥٦هـ) في "عمدة الحفاظ"[١٢]، ومحقق المفردات الدكتور صفوان داوودي، فهي ألفاظ معدودة على رؤوس الأصابع كما يقال!!. ثم إن العناوين التي في أوائل النسخ مما ألحقه

- ومن ذلك أن كتاب المفردات يختلف كثيرًا عن كتب الغريب كتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ت، ٢٧٦هـ)[١٣]، وتفسير غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب لابن عُزَيِّز السجستاني (ت، ٣٣٠هـ)[١٤] وغيرهما. بل إنه يختلف عن كتب معاني القرآن للفراء (ت، ٢٠٧هـ) والزجاج (ت، ٣١١هـ)

---

[١١] مقدمة "المفردات".

[١٢] السمين الحلبي، أحمد بن يوسف: "عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ"، ت: د. محمد التونجي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٥م، ج١، ص٣٨-٣٩.

[١٣] طبع بتحقيق د. أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

[١٤] قال السيوطي: "أقام في تأليفه خمس عشرة سنة يحرره هو وشيخه أبو بكر الأنباري" الإتقان ج١، ص١١٣. وقال د. الداوودي: "وهو أشهر الكتب المؤلفة في هذا الشأن وله طبعات كثيرة أولها للأستاذ مصطفى عناني ١٣٢٦هـ/١٩٣٦م القاهرة. ثم عني بتحقيقه لجنة من أفاضل العلماء وطبعته مطبعة محمد علي صبيح سنة ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م. وهاتان الطبعتان على حسب الحروف أي الكلمات المبدوءة بحرف الهمزة ثم الباء ثم الثاء الخ. ثم طبعته دار التراث بالقاهرة على حسب السور أي غريب سورة الفاتحة ثم سورة البقرة الخ. وطبع الكتاب على هامش "تبصير الرحمن" للمهائمي - بولاق ١٢٩٥هـ وعلى هامش تفسير ابن كثير ١٣٢٥هـ، وطبع حديثـًا على هامش بعض المصاحف. (مجلة المنهل/مصدر سابق، ص١١٨، هامش ٢٧).

والمجاز لأبي عبيدة (ت، ٢١٠هـ) وغيرهم، حيث تلحق عادة بكتب الغريب، أو تلحق هي بها[١٥]. وهذه الكتب تهتم بالجانب اللغوي وتُعْنَى بالغريب غاية العناية أكثر من أي شيء آخر. في حين يجتمع عند الراغب اللغة عامةً ولغة القرآن خصوصاً والمصطلح أيضاً. وهنا ينبغي التفريق بين كون المفردات متضمناً للغريب - وهو ما لا يمكن إنكاره - وبين كونه كتاباً في الغريب، وهما صنفان بينهما بون شاسع.

- ومن ذلك أيضاً أننا عندما نتأمل - بعناية - في مقدمة المفردات فإنا نجد الراغب متطلعاً إلى بناء "نظرية" في علم بيان القرآن. وقد نص على أن كتابه هذا جاء في سياق تأليفي مقصود... فقبله كانت "الرسالة المنبهة على فوائد القرآن". ثم كتاب "الذريعة إلى مكارم الشريعة". قال: "وذكرت - أي في تلك الرسالة - أن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، .. وليس ذلك نافعاً في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع". ثم قال: "وأتبع هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ونسأ في الأجل بكتاب ينبئ عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينها من الفروق الغامضة"[١٦].

ويضاف إلى هذا أنه توسع في العلوم اللفظية بمباحثها المختلفة في مقدمة تفسيره[١٧].

ويفهم من قول الراغب السابق: "والإشارة فيه إلى المناسبات التي بين الألفاظ المستعارات منها والمشتقات حسبما يحتمل التوسع في هذا الكتاب". إن كتاب "المفردات" - في مداه الحقيقي الذي يتصوره المؤلف - أبعد وأوسع مما هو عليه الآن. وذلك لأن استخلاص دلالة اللفظ القرآني يستلزم النظر إليه اعتماداً على:

---

[١٥] قال الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح: وحيث رأيت في كتب التفسير: "قال أهل المعاني "فالمراد مصنفو الكتب في معاني القرآن كالزجاج ومن قبله (الزركشي: مصدر سابق، ٢٩١/١).

[١٦] مقدمة المفردات.

[١٧] نشرت تحت عنوان "مقدمة جامع التفاسير، مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة" تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات، دار الدعوة، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

- ملاحظة الفرق بين اللفظ ومرادفه بحسب دلالة اللغة ثم بحسب الاستعمال القرآني.
- رصد اختلاف دلالة اللفظ الواحد تبعًا لاختلاف السياق.
- رصد اختلاف المعاني وتنوعها بسبب اختلاف الاشتقاق والتصريف.

ولاشك في أن مراعاة كل ذلك يستلزم أعمارًا متعددة وأعمالاً ضخمة جدًا نظرًا لخصوصية النص القرآني المعجز.

لقد كان الراغب على وعي تام بذلك المدى الواسع، لكنه اكتفى بالتنبيه والإشارة... وفي ذلك علامة ومنارة!!.

إن اهتمام الراغب إذن بتحقيق الألفاظ المفردة وارد ضمن نسق معرفي محكم. ولعل من مظاهر هذا النسق امتداد العناية به من تحقيق ألفاظ القرآن الكريم إلى التنبيه والاهتمام - ضربًا من الاهتمام - بتحديد اصطلاحات العلوم. يقول: "وليس ذلك نافعًا في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع، فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم. وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها وبالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة"[١٨].

ففي هذا النص تتجلى محورية اللفظ القرآني في بنية العلوم الإسلامية والعربية، وقد بنى عليها الراغب تصوره لتصنيف العلوم التي يأتي على رأسها "عِلمُ القرآن" (هكذا بالمفرد! وفيه دلالة خاصة) ثم تليه علوم الشرع التي نشأت حوله.

ويتجلى في النص أيضًا خطر اللفظ في علم القرآن وخطر المصطلح في علوم الشرع، بل في سائر العلوم. ولعل هذا هو ما يدفع بعض العلماء والباحثين

---

[١٨] مقدمة المفردات.

إلى القول باصطلاحية ألفاظ القرآن لما يلاحظ من تميز وخصوصية في دلالاتها الاستعمالية في الخطاب القرآني[١٩].

ومن هذه النافذة يمكن أن نطل على مظهر عظيم من مظاهر التداخل بين علم القرآن وهو الوحي، وبين العلوم التي أسسها العقل المسلم استناداً إلى الوحي بياناً وتبيُّناً. ونطل بعد ذلك على مظهر من مظاهر التداخل والتكامل بين تلك العلوم ذاتها نظرًا لوحدة مصدرها.

## المصطلح في "المفردات":

لقد أورد الراغب رحمه الله تعالى في هذا الكتاب عدة مصطلحات في علوم مختلفة تزيد على خمسين ومائتي مصطلح معرَّف، فضلاً عن المصطلحات التي ذكرها من غير تعريف. وفي هذا دلالة على إحساس قوي بقيمة المصطلح وضرورة تعريفه وتحقيقه. وفيه دلالة أيضا على أن استحضار الدلالة القرآنية للألفاظ مفيد جدًا في تحقيق مصطلحات العلوم.

فمن مظاهر ذلك تصحيحه لما ذهب إليه أصحاب الشافعي رضي الله عنه من أن الطَّهُور بمعنى المُطَهِّر، قال: "وذلك لا يصح من حيث اللفظ لأن فَعُولاً لا يبنى من أفْعَل وفعَّل، وإنما يبنى ذلك من فَعُل. وقيل: إن ذلك اقتضى التطهير من حيث المعنى، وذلك أن الطاهر ضربان: ضربٌ لا يتعداه الطهارة كطهارة الثوب، فإنه طاهر غير مطهر به، وضربٌ يتعداه فيجعل غيره طاهرًا به، فوصف الله تعالى الماء بأنه طهور تنبيهاً على هذا المعنى". ذكر الراغب هذا عند حديثه عن قوله تعالى: {وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً} (الفرقان: ٤٨)[٢٠].

ومن هذا القبيل تلك الوقفة الدقيقة التي وقفها مع مصطلح "المجمل" حين قال: "وقول الفقهاء: "المجمل ما يحتاج إلى بيان" فليس بحدٍّ له ولا تفسير، وإنما

---

[١٩] من القائلين بهذا القول الدكتور عبد المجيد النجار في بحث له بعنوان: "مصطلح الشهادة على الناس في القرآن الكريم وأبعاده الحضارية"، منشورة ضمن أعمال ندوة (الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية) بتعاون بين شعبة الدراسات الإسلامية بكلية الآداب سايس - فاس ومعهد الدراسات المصطلحية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٩٦.

[٢٠] المفردات/طهر.

هو ذكر أحد أحوال بعض الناس معه، والشيء يجب أن تُبيَّن صفته في نفسه التي بها يتميز، وحقيقة المجمل هو المشتمل على جملة أشياء غير ملخصة"[٢١]. فانظر إلى تنبيه الذكي على ذلك الشرط الضروري في التحديد والتعريف!

ويلاحظ أن المصطلحات التي أوردها الراغب تنتمي إلى عدة علوم، وتتنوع بين:

- مصطلحات في الفقه كالطهارة والصلاة والزكاة وبيع الغرر وبيع العرايا والرهن والمضاربة والتعزير والمشرَّق والمناسخة في الميراث.

- ومصطلحات في الأصول كالمشكل والبيان والمبهم والمحكم والمتشابه والضروري والفرض الواجب المحظور والحُكم والتخصيص والإجماع والاجتهاد والنسخ وغيرها.

- ومصطلحات في العقيدة والكلام والمنطق: كالإسلام والإيمان والفسق، والذات والرجعة والعصمة والإرادة والمشيئة والعرض، والنظر والقياس والمناظرة والبرهان والحال والوجود.

- ومصطلحات أخرى في اللغة والطب وغيرهما.

ويلاحظ من جهة أخرى أن تلك المصطلحات تتنوع - بحسب صورها في علاقتها بالقرآن الكريم إلى أنواع:

- فنوع ورد في القرآن بصيغته وصورته ثم استعمل في أحد العلوم، كمصطلح البيع مثلاً فإنه ورد في القرآن الكريم ثم خصص له باب في الفقه مشهور، وباعتبار ما ضُمَّ إليه فقد يذكر مجموعاً لاندراج أنوع وأصناف من البيع تحته كبيع المقايضة والبيع بالمراسلة وبيع المضطر وبيع الغرر... وغيرها[٢٢].

- ونوع لم يرد بصورته لكن يرجع في أصله إلى القرآن، فمن ذلك مصطلح الملاعنة[٢٣]، وهو باب معروف في الفقه أيضاً، ولم يرد بهذه الصورة

---

[٢١] المفردات/جمل.

[٢٢] انظر نزيه حماد: معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، ٩٥-١٠٤، الدار العالمية للكتاب والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

[٢٣] المفردات/لعن.

في القرآن، لكنه استفيد من قوله تعالى في أن الرجل يقول في الخامسة: {أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين} (النور: ٧). ومثله مصطلح التذكية[٢٤].

- ثم هناك نوع آخر لم يرد في القرآن الكريم ولا هو مستفاد منه لكنه مشتق من مادة اللفظ الذي هو بصدد تعريفه، فيورده على سبيل الفائدة. فمن ذلك مصطلح المخاضرة وهي "المبايعة على الخضر والثمار قبل بلوغها"[٢٥]. وهذا المصطلح لم يرد في القرآن ولا يظهر أنه مستفاد من نص قرآني في باب البيوع من الفقه، ولكنه ورد في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المحاقلة والمخاضرة والملامسة والمنابذة والمزابنة"[٢٦]. وقد أورد الراغب هذا المصطلح في شرحه لما تفرع عن مادة "خضر" في القرآن: ك(مخضرة) و(خضرا). ومن هذا القبيل مصطلح الخوارج لكونهم "خارجين عن الإمام"، وهو مصطلح لم يرد في القرآن ومع ذلك أورده[٢٧].

ومما يعنى به الراغب في عدد من المصطلحات رصده للمفاهيم المختلفة للمصطلح الواحد بحسب اختلاف الاستعمال في العلوم. فمن ذلك مثلا:

- مصطلح "الحال" الذي يستعمل في اللغة للصفة التي عليها الموصوف، وفي تعارف أهل المنطق لكيفية سريعة الزوال نحو: حرارة وبرودة ويبوسة ورطوبة عارضة"[٢٨].

- مصطلح "الواجب" يقال على أوجه: **الأول** في مقابلة الممكن، وهو الحاصل الذي إذا قدر كونه مرتفعا حصل منه محال نحو وجود الواحد مع وجود الاثنين فإنه محال أن يرتفع الواحد مع حصول الاثنين. **الثاني** يقال في الذي إذا لم يفعل يستحق به اللوم، وذلك ضربان: واجب من جهة العقل كوجوب معرفة الوحدانية ومعرفة النبوة، وواجب من جهة الشرع كوجوب

---

[٢٤] المفردات/ذكا.

[٢٥] المفردات/خضر.

[٢٦] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب بيع المخاضرة، ج٢٢٠٧.

[٢٧] المفردات/خرج.

[٢٨] المفردات/حول.

العبادات الموظفة... وقال بعضهم: الواجب يقال على وجهين: **أحدهما**: أن يراد به اللازم الوجود، فإنه لا يصح أن لا يكون موجوداً، كقولنا في الله جل جلاله: واجبٌ وجودُه. **والثاني**: الواجب بمعنى أن حقه أن يوجد. وقول الفقهاء: "الواجب ما إذا لم يفعله يستحق العقاب"، وذلك وصف له بشيء عارض له لا بصفة لازمة له، ويجري مجرى من يقول: الإنسان الذي إذا مشى مشى برجلين منتصب القامة"[٢٩].

- مصطلح "الكلام" يقع على الألفاظ المنظومة، وعلى المعاني التي تحتها مجموعة، وعند النحويين يقع على الجزء منه اسماً كان أو فعلاً أو أداة، وعند المتكلمين لا يقع إلا على الجملة المركبة المفيدة، وهو أخص من القول فإن القول يقع عندهم على المفردات، والكلمة تقع عندهم على كل واحد من الأنواع الثلاثة، وقد قيل بخلاف ذلك"[٣٠].

إن صنيع الراغب في ما أورده من مصطلحات العلوم في كتاب خصصه أصلاً لألفاظ القرآن ينبهنا على التاريخ السليم لمصطلحات التراث الإسلامي عامةً، ولاسيما في أول مرحلة من مراحل هذا التاريخ، وهي التي تتعلق بالنص القرآني وبيانه من السنة الشريفة. فهذه المرحلة لما تعط حقها بعد. وما زالت ألفاظ القرآن تنتظر من يحققها ويحصِّل دلالاتها بمنهج يعتمد على الإحصاء والتدقيق. وهذا كفيل - بإذن الله تعالى - بأن يكشف عن أسرار وبأن يحرر كثيرًا من القضايا، فمن فوائد ذلك:

- استخلاص الدلالة القرآنية وتمييزها مِمّا سواها من المعاني والمفاهيم الطارئة عليها بعد فترة التنزل.

- تَبَيُّنُ مدى التحول والتطور الذي طرأ على اللغة نتيجة تفاعل العقل المسلم مع النص القرآني على مدى قرون متتابعة وضمن مذاهب وفرق متنوعة. وهذا سيؤدي إلى الكشف عن طبيعة التداخل هل هي في اتجاه التكامل والتساند أم في اتجاه التنافر والاصطدام، وذلك بحسب القرب أو البعد من الأصل.

---

[٢٩] المفردات/وجب.

[٣٠] المفردات/كلم.

وقد تنبه الإمام محمد بن عبده إلى هذه المسألة حين قال: "وأما المرتبة العليا في التفسير فلا تتم إلا بأمور: أحدها فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أوردها القرآن، بحيث يحقق المفسر ذلك من استعمالات أهل اللغة غير مكتف بقول فلان وفهم فلان، فإن كثيرًا من الألفاظ كانت تستعمل في زمن التنزيل لمعان ثم غلبت على غيرها بعد ذلك بزمن قريب أو بعيد. من ذلك لفظ التأويل: اشتهر بمعنى التفسير مطلقًا أو على وجه مخصوص، ولكنه جاء في القرآن بمعان أخرى، كقوله تعالى: {هل ينظرون إلا تأويله، يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق} (الأعراف: ٥٣)!! فما هذا التأويل! فيجب على من يريد الفهم الصحيح أن يتتبع الاصطلاحات التي حدثت في الملة، ليفرق بينها وبين ما ورد في الكتاب. فكثيرًا ما يفسر المفسرون كلمات القرآن بالاصطلاحات التي حدثت في الملة بعد القرون الثلاثة الأولى. فعلى المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله. والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه، وينظر فيه، فربما استعمل بمعان مختلفة كلفظ الهداية وغيره. ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة معنى الآية ليعرف المعنى المطلوب من بين معانيه. وقد قالوا: إن القرآن يفسر بعضه ببعض، وإن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ: موافقته لما سبق له من القول واتفاقه مع جملة المعنى وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته" ا.هـ[٣١].

[٣١] رضا، محمد رشيد: تفسير المنار، ٢٢/١.